

مختصر ابن كثير

11 - ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين .

ينبه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم ويبين لهم عداوة عدوهم إبليس وما هو منطوق عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه فقال تعالى : { ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا } .

هذا كقوله تعالى : { وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ... فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين } وذلك أنه تعالى لما خلق آدم عليه السلام بيده من طين لازب وصوره بشرا سويا ونفخ فيه من روحه أمر الملائكة بالسجود له تعظيما لشأنه تعالى وجلاله فسمعوا كلهم وأطاعوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين والمراد بذلك كله آدم عليه السلام وقال سفيان الثوري عن ابن عباس { ولقد خلقناكم ثم صورناكم } قال : خلقوا في أصلاب الرجال وصوروا في أرحام النساء (رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما ولم يخرجاه) ونقل ابن جرير عن بعض السلف أيضا أن المراد { بخلقناكم } ثم { صورناكم } الذرية وقال أي خلقنا آدم ثم صورنا الذرية وهذا فيه نظر لأنه قال بعده : { ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم } فدل على أن المراد بذلك آدم وإنما قيل ذلك بالجمع لأنه أبو البشر كما يقول الله تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم { وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى } المراد آباؤهم الذين كانوا في زمن موسى ولكن لما كان ذلك منة على الآباء الذين هم أصل صار كأنه واقع على الأبناء وهذا بخلاف قوله : { ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين } الآية فإن المراد منه آدم المخلوق من السلالة وذريته مخلوقون من نطفة .

وصح هذا لأن المراد من خلقنا الإنسان الجنس لا معينا وإنما أعلم